السنة الثامنة (ذى الحجة سنة ١٣٦٠ هـ - يناير سنة ١٩٤٢ م) العدد الثالث

صحيفة دار العلوم

ص (ح ١٩٣٤) ع

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

المـــدير
محمد نجيب حتاتة

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٣

"إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

من خصائص العربية
المرونة وما تدل عليه

للأستاذ على النجدى ناصف

مفتش المعارف بالاسكندرية

اللغة العربية من أغزر اللغات مادة ، وأطوعها على تأليف الجمل ، وإزجاء العبارات المنوعة ، تتوارد على المعنى الواحد ، فتجلوه فى معان شتى : من الإيضاح والتصريح ، والتكنية والتلميح ، أو الحقيقة أو المجاز فى ضروبه المختلفة ، ومن الإيجاز إلى الإطناب أو المساواة ، إلى كثير من ضروب الأداء المبسوطة فى كتب البلاغة وما يتصل بها .

وإنك إذ تطلع على ثبت الكتب المصنفة فى خلق الانسان ، وفى الإبل والخيل والغنم والوحش ، وفى الحشرات والهوام ، وفى الشجر والزرع والنبت والبقل ، وفى الأنواء والرياح ، وفى الأدواء والأدوية ، وفى الألوان ، وفى الروائح والطعوم ، وفى كثير غير هذا - إنك إذ تطلع على ثبت كل أولئك لتدهش غاية الدهش ؛ لوفرة غنى هذه اللغة وكثرة الجهود التى بذلها السابقون من أهلها بذل السماح لحياطة ثروتها ، وتوطيد سلطانها . وإذا تركت هذا

جانباً ، ورجعت إلى أى معجم من المعاجم التى بين أيدينا تقرأ أى مادة من مواده — لم تكد تعدم أن تمر بقليل أو كثير من الكلمات المجفوة، أو العبارات المعطلة ، تركت جهلا بها ، أو إيثارا لغيرها عليها ، أو لعدم الحاجة إليها ؛ فإذا جمهرتها تبدو شعثاء جافية لا يستطيبها الذوق ، ولا تستريح إليها الآن ؛ لانقطاع الأسباب بيننا وبينها . ولو أتيح لنا أن نستجيبها لكان لنا منها ولا ريب — مادة كريمة ، يمكن أن نصطنعها للمسميات والمصطلحات الحديثة ، فتنمو اللغة نموا ذاتياً ، أساسه التوليد ، وبعث الموات ، والتحرز من الدخيل إلا حيث تلجئنا الضرورة القصوى إليه ، وتعيا جميع الوسائل بتدبير خلف له من العربى الأصيل .

وليس يعوزنا فى هذا المقصد الجليل سوى أمرين : أولهما فريق من الباحثين والأدباء يتجردون لجمع هذه الكلمات ودراسة كل منها وعرضها على المعنى الذى يليق بها وتليق به ، فإذا آنسوا منها صلاحا له ، واطمأنوا إلى استعدادها للحياة معه ، زاوجوا بينهما وحملوها إلى صفوف الكلمات العاملة لتقوم معها بنصيب من الإدلاء والإفهام .

ولقد كان للعالم اللغوى الأديب « أستاذنا الإسكندرى ، رحمه الله » فى هذا الميدان ، فى هذا الميدان ، جولات صادقة ، وبلاء حسن ، بما نشره من البحوث ، وألقاه من الناظرات ، وما أخرجه — أو تولى تهذيبه وإصلاحه — من المؤلفات ، فلعلنا واجدون من أعضاء « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » ومن غيرهم ، من يأخذ إخذه ، ويخلفه فى أداء رسالته ، فتجنى العربية منها كثيرا . أما ثانى الأمرين ، فإثارة الغيرة على سلامة اللغة ، وبعث الرغبة فى إيثار الصحيح ، ولو جفوا ، على الفاسد ، ولو مألوفا ، ويكون ذلك بتهجين العجمة فى أعين الناس ، ونشر الدعوة إلى الفصيحة بشتى الوسائل ، وفى كل مقام يتسع لذلك ويسمح به .

ولو أراد حضرات أساتذة المدارس ، وحضرات الأدباء عامة ،وكتاب الصحف خاصة ، لكان لهم فى هذا المجال عمل غير مردود،وتوجيه لانكوص عنه ، ولا عدول .

وإنما مثل هذه الكلمات لو أتيح لنا استحياؤها — كمثل الركاز الثمين ، لا تزال الأرض به أثيرة ، وعليه ضنينة ، حتى يتاح له منقب أيد صبور ، فيفض أختامه ، ويفتح مغاليقه ، ثم ينقله من عالم الجمود والسكون ، إلى عالم الحركة والاضطراب ، حيث يستأديه الناس ، ويكلون إليه المرافق التى يصلح للاضطلاع بها .

وما أبلغ قول « الجارم بك » فى مثل هذا المقام ، من قصيدته « العربية فى ماضيها وحاضرها » قال :

والترجمات تشن الحرب لاقحة ... على الفصيح ، فيا للويل والحرب!
نطير للفظ ، نستجديه من بلد ... ناء ، وأمثاله منا على كثب
كمهرق الماء فى الصحراء حين بدا ... لعينه بارق من عارض كذب

إلى أن قال :

أنترك العربى السمح منطقه ... إلى دخيل من الألفاظ مغترب؟!
وفى المعاجم كنز لا نفاد له ... لمن يميز بين الدر والسخب
كم لفظة جهدت مما نكررها ... حتى لقد لهثت من شدة التعب
ولفظة سجنت فى جوف مظلمة ... لم تنظر الشمس منها عين مرتقب
كأنما قد تولى القارظان بها ... فلم يثوبا إلى الدنيا ولم تؤب

٭ ٭ ٭

نعم . سيلقى الناس عنتا من جراء هذا المذهب ، سواء الأدباء والجمهور ، فستعرض للأدباء — بعض الأحيان — مواقف حيرة وتردد ، يجدون فيها أنفسهم تجاه كلمات صحيحة ، لكنها جافية مستغلظة ؛ وأخرى دخيلة ، لكنها

مألوفة شائعة ، تلك تنفر منها جيرتها فى العبارة ، وتنكر مكانها منها ، وتود لو جنبت خلاطها ، وهذه تصيح بهم أن يؤثروها على مزاحمتها ، ويختصوها بموضعها ، رعاية للحق الذى كسبته بطول المراس ، وكثرة الاستعمال، وسيضيق الجمهور — أو بعضه — بهذا اللون من الكلام ، وقد يسخر منه ، ويتندر به ، بل ربما ازور عن القراء ، أو فتر نشاطه لها من أجله ، لكن المعاودة جديرة أن تجعل الشاذ مألوفا ، بل المنكر معروفا ، فكم كلمة بدأت غليظة جافية أو غثة مسترذلة ، ثم صارت — مع الأيام — مقبولة سائغة .

لقد كان نداء الحركات الرياضية ، فى المدارس وغيرها ، باللغة التركية ، وبعض هذه الكلمات متنافر الحروف ، متمعج المخارج ، لكن شيوع تداولها وطول تعاطيها ، جعلا نطقها سهلا على الألسنة ، ووقعها خفيفا على الآذان فعاشت ما عاشت ، لا يتبرم بها أحد ، ولا يدعو إلى تغييرها أحد ، لسبب يتصل ببنيتها . ولما نشبت الحرب الماضية ، وأفضت - فيما أفضت إليه - إلى قطع صلة مصر بتركيا ، رأى بعض ذوى الرأى ، أن يجعل نداء الحركات الرياضية بالعربية ، بدل التركية . أفتدرى ماذا كان الإحساس بهذه الكلمات الوطنية الجديدة ؟ وماذا كان الرأى فيها ؟ كان إحساس النكر والاستغراب الذى يجده الإنسان من كل سخيف شاذ ، وكان الرأى أن الكلمات التركية أصلح فى هذا المقام من العربية ، لأنها أملأ للفم ، وأمضى للأمر ، لما فى كلماتها من ضخامة وما لجرسها من جلبة وصخب .

لقد كان للانحياز إلى تركيا ، والتعصب على إنجلترة — يومئذ — عمل فى هذا الإحساس ، وترجيه لذلك الرأى بلا مراء ، ولكنهما فى الواقع لم يكونا المؤثرين الوحيدين فى هذا وذاك ، وإلا فاللغوى المتخصص ، يسيغ من الكلمات مالا يسيغ الناس ، ويسترذل منها مالا يسترذلون ! ! وهاقد ألفنا النداء بالعربية بل أحببناه ، حتى مانبغى به بدلا ، ولانحس منه ، أو نرى فيه ، غير مانحس

ونرى فى كل كلام عربى معتاد ، وأصبحنا نعجب كيف كنا نسيغ النداء بالتركية ، بله الاعجاب به ، والرغبة فى استبقائه ! ! !

هذه واحدة ، والأخرى أن الأديب الحق ليس تاجرا أو مهرجا ، فيكون همه الأول تملق الجمهور ، أو استجداء إعجابه ، ولكنه معلمه قبل كل شىء فيجب أن يعده الإعداد الذى يتفق الرأى على أنه الأليق به ولو أصابه ، فى ذلك ، بعض العنت .

ونعود . بعد هذا الاستطراد — إلى ما كنا فيه ، وما نقصد إليه بهذه الكلمة من الحديث عن « مرونة العربية » وحسن مواتاتها على التعبير ، فنقول :

إن هذه — مثلا — قصائد المدح فى الشعر العربى ، منذ أقدم عصوره إلى اليوم ، نقرأ منها مانقرأ ، فنراها جميعا ، تدور حول محور واحد ، لاتكاد تعدوه ، وهو وصف الممدوحين بصفات الكمال ، الإنسانى ، كما تمثله الفضيلة ، ويصوره الدين والعرف وهى ، فى جملتها ، صفات محدودة ، يسهل عدها صفة صفة ، لكن القصائد التى قيلت فيها ، والأساليب التى صيغت للتعبير عن كل منها ، وعرض صورها ، مستفيضة جدا ، لاتكاد تحصى كثرة ، بل هذه لوازم الشعراء ذوى اللوازم ، إذا نحن تتبعنا إحداها بالتقصى والاستقراء ، نحصى كل ماقال صاحبها فيها ، يجتمع لنا ، من ذلك ، قدر جليل من العبارات ، والصيغ المتنوعة فى طرق تأليفها ، وفى الألفاظ التى ألفت منها وإن كانت لتصور معنى واحدا ، وتصدر عن شاعر واحد ؛ فالبحترى — مثلا — قد ذكر طيف الخيال فى نحو خمسة وثلاثين موضعا من شعره ، ونظم فيه نحو خمسين ومائة بيت ، ومع ذلك لاتكاد العبارات تتشابه او تتقارب فى تلك المواضع ، ولا فى تلك الأبيات ، إلا بمقدار ؛ وهذه أمثلة منها ، قال :

آخيال علوة كيف زرت، وعندنا … أرق يشرد بالخيال الزائر ؟
طيف ألم لها ، ونحن بمهمه … قفر : يشق على الملم الخاطر
أفضى إلى شعث يطير كراهم … روحات قود كالقسى ضوامر
حتى إذا نزعوا الدجى وتسربلوا … من فضل هلهلة الصباح الناثر
ورنوا إلى شعب الرحيل بأعين … يكسرن من نظر النعاس الفاتر
أهوى فأسعف بالتحية خلسة … والشمس تلمع فى جناحى طائر

وقال :

إذا قلت : قضيت الصبابة ردها … خيال ملم من حبيب مجانب
يجود ، وقد ضن الألى شغفى بهم … ويدنو ، وقدشطت ديار الحبائب
تزينك أحلام النيام وبيننا … مفاوز يستفرغن جهد الركائب

وقال :

أجدك ، ماينفك يسرى لزينبا … خيال إذا آب الظلام تأوبا
سرى من أعالى الشام يجلبه الكرى … هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا
وما زارانى إلا ولهت صبابة … إليه ، وإلا قلت : أهلا ومرحبا

وقال :

قل للخيال : إذا أردت فعاود … تدنى المسافة من هوى متباعد
فلأنت فى نفسى ، وإن عنيتنى … وبعثت لى الأشجان أحلى وافد
بانت بأحلام النيام تغرنى … رود التثنى كالقضيب المائد

وهذه المرونة فى بنية اللغة ، هى التى طوعت لأدباء العربية فى بعض العصور ، الاستكثار من محسنات البديع ، والافتنان فى اصطناعها ، إلى حد لانعرف له مثيلا فى أى لغة من اللغات . وإذا كان الجناس والطباق والسجع، وما إليها من الأنواع المألوفة الشائعة . قد تكون دلالتها على مطاوعة اللغة وحسن مواتاتها موضع شك ، ومجال أخذ ورد ، لقلة تعقيدها — فثمة أنواع

من التلاعب اللفظي العسر، تورط فيه بعض الأدباء، وأتوا منه بنماذج عجيبة مرهقة، لا ندرى كيف طاقت فكرتها فى خواطرهم، ولا مبلغ الجهد الذى احتملوا، والوقت الذى أنفقوا فى اعتساف ما اعتسفوا منها.

هذا الحريرى فى «المقامة الحلبية» قد نظم أبياتا سماها «العواطل» ليس فى ألفاظها حرف منقوط، وأبياتا سماها «العرائس» ليس فى ألفاظها حرف مهمل، وأبياتا سماها «الأخياف» يختلف على ألفاظها النقط والإهمال، فلفظ مهمل الحروف، يليه آخر منقوطها، وهكذا على الترتيب.

ونظم المرحوم الشيخ «حسين والى» عشرة أبيات يقرظ بها كتاب «شذا العرف» جعل شطورها الأولى تاريخا لسنة تأليف الكتاب بالتقويم الميلادى، وشطورها الأخرى تاريخا لسنة تأليفه بالتقويم الهجرى، أى أن مجموع كلمات الشطور الأولى «بحساب الجمل» يعادل ١٨٩٤، ومجموع كلمات الشطور الأخرى يعادل ١٣١٢

ومهما يكن فى هذا الشعر من تكلف وهزال، فهو — ولاريب — عمل عجيب من جانب أصحابه، ومن جانب اللغة التى مكنتهم من الإتيان به، فكيف إذا سلمت منه أبيات، لم ينل منها التكلف، نيلا شديدا، كقول «الحريرى» من أبياته «العواطل»

أعدد لحسادك حد السلاح وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها وأعمل الكوم وسمر الرماح

ومن أبياته «الأخياف»:

ولا تظن الدهور تبقى مال ضنين ولو تقشف

وقال المرحوم الشيخ «حسين والى»:

لعمرك هذا الذى عز جاها ببث ثناه المــديح نطق

٣٦٠	٧٠٦	٧٤١	٧٧	١٠	٥٠٤	٥٥٦	٩٣	١٥٩

١٨٩٤ ١٣١٢

ولقد كان « الحريرى » وأضرابه ، قد استخدموا مرونة العربية فى هذه الألاعيب التافهة ، لا جدوى فيها للأدب ، ولا غناء — لقد استخدمها غيرهم فى تحقيق مطالب جليلة ، أفاد منها العلم والأدب أيما إفادة ، استخدمها بعض الأقدمين فى نظم العلوم . لضبط قواعدها ، وتيسير تحصيلها ، واستخدمها المرحوم « شوقى » ومن جاراه من الشعراء فى وضع الروايات التمثيلية ، وتنسيق حوارها على هذا النمط المتسلسل المطبوع ، لم تؤثر فيه قيود الشعر أى تأثير ، فإذا هو على مثال نظيره فى الروايات المنثورة . استمع للمرحوم « شوقى » يدير الحوار ، بين « حابى وزينون » فى رواية «مصرع كليوباترة» غير متكلف ، ولا مجهد

حابى : أفق زينون ياصح من الغوانى أبعد الشيب تخدعك النساء ؟!

زينون : أتعلم ياغلام على عشقا ؟

حابى : دع الإنكار ، قد برح الخفاء !!

زينون : ومن أنباك ؟

حابى : أنت

زينون : وكيف ؟

حابى : تهذى فتفضحك الوساوس والهذاء

كمحموم يبوح ، وليس يدرى تكشف عن سرائره الغطاء

ومرونة العربية أيضا هى التى أتاحت لواضعى العلوم اللسانية والشرعية ، وباسطى أصولها وقواعدها ، عصرا بعد عصر — أن يستمدوا لها الأسماء والمصطلحات الفنية من صميم العربية نفسها ، غير مترخصين فى ذلك ،

ولا حائدين عنه ؛ وهى التى أتاحت لعلماء العلوم الدخيلة ، طبقة بعد طبقة . أن يلتزموا فى معاناتها هذا السنن نفسه . فى كل ما أدخلوا على مسائلها من الإضافة والاستكمال ، وفى كل ماتناولوها به من الاصلاح والضبط ، أو البسط والتفصيل ، اللهم إلا قليلا من الأسماء ، أخذوه من اللغات الأصلية التى نقلت عنها تلك العلوم .

وما كان لهذا القدر من الأسماء ، ولا لأكثر منه ، أن يعد مظهر جمود ، أو آية قصور فى العربية . هيهات ، فالأمم التى سيطرت عليها العرب ، أمم عريقة ، ذات حضارة باذخة ، وتقاليد راسخة موروثة ، فكيف تستطيع لغة مهما يكن حظ أهلها من الحضارة عظيما ، ومهما يكن حظها هى من المرونة موفورا — أن تسطو بلغات تلك الأمم ، فتنسخها نسخا ، وتحل محلها فى التعبير عن مطالب الحياة الفكرية عامة ، ثم لا تتأثر بها قليلا أو كثيرا !!! فكيف ! مع ذلك ، إذا كانت اللغة المتغلبة ، هى العربية ، وهى كما لا يخفى — لغة أمة بادية ، لا حظ لها من الحضارة ، ولا مشاركة لها فى علم أو فن !!

نعتقد انه لولا ما اجتمع لهذه اللغة من المرونة،ورحابة الذرع،واستكمال الأداة — ما استقام لها النصر على هذه الصورة ، ولكان من المرجح جدا أن تظفر بها العجمة ، أو تغرى بها الدخيل ، فيشيع فيها من كل جانب ، فإذا هى لغة ممسوخة الشخصية ، لا عربية ، ولا أعجمية .

أما بعد ، فما دلالة هذه المرونة فى العربية ، على ما يتصل بها من خصائص العرب ؟ إنها تدل ـ أولا ـ على أن العرب أمة ذات خيال مستيقظ ، ومزاج مشرق ، متهيىء للتأثر والانفعال ، فهذا المجاز الكثير المنوع ، الذى ساعد كثيرا على مرونة اللغة ، إنما يتأتى للخيال الزكى الخصيب ، وهو لا يقع لغير نفس محلقة ، تسعدها طبيعة شفافة متكشفة ، لا تغشاها غاشية ، ولا يحول بينها وبين التلقى والانفعال ، حجاب . وتدل هذه المرونة ـ ثانيا ـ على أن

العربية قد بلغت مرتبة الترف فى التعبير ، وجاوزت حد الاقتصار منه على قدر الضرورة ، ومعنى هذه أن العرب ـ على نكد عيشها ، وإجداب بيئتها واستبداد البداوة بأسباب الحياة فيها ـ كانت أمة مترفة الوجدان ، تتذوق الفن الأدبى وتهيم به ، كأفضل ما يتذوق الفنان فنه ويهيم به ، فالإنسان فى أطواره البدائية ، ضيق آفاق اللغة، قليل المادة من المفردات ، يصطنع اللفظ الواحد لمعان كثيرة ، ويلجأ إلى الإشارة ، يستعينها على التعبير ، إذا عيت به اللغة ، أو قصرت عن الوفاء به على النحو المطلوب ، بل إنه الآن ليلجأ إلى أهون الكلام ، وأبعده من الفن ، حين يعبر عن مطالب الحاجة ، ويقصد إلى الإفهام المجرد ، بل إنه ليلتزم ، فى بعض المقاصد ، كلمات بعينها ، لا يحيد عنها ولا يتصرف فيها .

هؤلاء مراقبو الطائرات المغيرة ، لا يخرجون فى رسائل الإنذار والأمان التى يبعثون بها ، عن هذه الكلمات الأربع : « صفراء » للإنذار بالغارة المحتملة ، و « بيضاء » لزوال احتمال وقوع الغارة الصفراء ، و « حمراء » للغارة المحققة الوقوع فتطلق صفارات الإنذار ، و « خضراء » لزوال خطر الغارة الحمراء ، فتطلق صفارات الأمان .

وأولئك ركاب البحار ، إذا دهمهم خطر ، واضطروا الى طلب النجدة ، طلبوها بهذه الرسالة ، لا يعدونها : S . O . S وهى الأحرف الأولى من الكلمات الإنجليزية الثلاث ، التى ترجمتها « أنقذوا أرواحنا »

وقد يمسك الإنسان فى بعض المقاصد عن الكلام جملة، وعلى أى صورة يكون، مؤثراً عليه الاشارة والرمز، كالإشارات التى تتخذها سكك الحديد ورجال المرور للدلالة على خلو الطريق وجواز المسير فيه ، أو على شغله وخطر سلوكه .

على النجدى ناصف
مفتش المعارف بالاسكندرية

دراسة شعر اسماعيل صبرى

للأستاذ عبد العظيم على قناوى

(١)

حفزنى إلى هذا البحث أمران :

عناية رجال الأدب بوزارة المعارف بدراسة ديوان إسماعيل صبرى دراسة مستفيضة لتقريره فى مسابقتين متعاقبتين: مسابقة التدريس فى المدارس الثانوية، ومسابقة السنة التوجيهية، ولأجعل منه باكورة لدراسة شعراء العصر الحاضر دراسة مسهبة ، أصل بها بين أفكارهم وأغراضهم، وأزن فيها مقاديرهم من تراثهم الشعرى ، دون أن أتأثر بمنازلهم فى المجتمع المصرى بل العربى ، فكثير من الأدباء حتى الأجلاء منهم يصدر فى أحكامه عن رنين الأصوات ، وصخب الإمعات ، ولعل له عذرا وأنت تلوم .

— ١ —
شاعرية إسماعيل صبرى

إسماعيل صبرى شاعر مطبوع ألهم هذا الفن إلهاما ، فنظم الشعر ولما يعد سن الطفولة فى عصر جمدت فيه القرائح ، وخمدت العواطف ، وركدت سوق العلم لاستشراء الأمية فى البلاد، رغم مجاهدة محمد على وأحفاده ، واذا

كان عصر إسماعيل عصر اليقظة بعد السبات ، فإنه لا يمكن أن يكون عصر تبريز فى الفنون،أو تحليق فى سماء الآداب ، لقلة الموارد ، وللرغبة فى إنضاج الأذهان لا إحياء العواطف ، وبعث العقول لا الشعور ، على أن العصر الذى يخمد فيه العقل لا تشتعل فيه العاطفة ، فإذا ظهر شاعر فى هذا الأفق الملبد بالجهل ، المغشى بركامه كان شاعر الطبيعة لا البيئة ، ونتاج العبقرية لا المعرفة ولو لم يتح له من يعلمه القراءة ، ويأخذه بالآداب ، لما نقص ذلك من شاعريته شيئا ، ولكان شاعرا بشعوره المتدفق ، ومصوراً بخياله المحلق ، بل لكان شاعرا بكل حاسة من حواسه لأن جوانحه تحمل طبيعة الشعر ، وإن جهل أوزانه وبحوره ورويه وقوافيه ، وعجز عن إبراز أفكاره ومعانيه .

كذلك كان إسماعيل صبرى الشاعر منذ نشوئه فقد عالج الشعر فى ذلك العهد السحيق فى الجهالة ، البعيد فى الأمية ، ولو أننا وازنا بينه ولما يزل يافعا ـ وبين سيد شعراء عصره « محمود صفوت الساعاتى » الذى يقول عنه المرحوم « السيد مصطفى لطفى المنفلوطى » فى مقدمة ديوانه « وقف الشعر قرونا عدة وقفة لا يتزحزح عنها ولا يتحلحل حتى أنزل الله إليه من ملائكة البيان رسلا فى هذا العهد الأخير أخذوا بيده ونشروه من قبره ونفضوا عنه غباره ، وكان المرحوم محمود أفندى صفوت الساعاتى أحد أولئك الرسل الكرام » ثم يقول بعدئذ « أما درجته فى الشعر فنظرنا إليها أنها بالنسبة لدرجات الشعر من قبلها ببضعة قرون آية الايات ومجموعة الحسنات ، ومن قرأ شعر الساعاتى وقابل بينه وبين شعر الأمة العربية فى عصره علم أن للرجل من الفضل ما لا يقل عن فضل كل مصلح جديد ومخترع مجيد» .

لو أننا وازنا بينهما لتبينا أننا لم نعد الحق والإنصاف إذا جعلناه نبعة صافية فى مهامه فيح . وزهرة فى بلا قع جرد ، وتلك أبيات لكليهما فى غرض

متقارب ، فى سنة واحدة ، وعمر الساعاتى فوق الثلاثين ، وسن صبرى حوالى الست عشرة سنة .

قال الساعاتى مهنئا بمولود :

بشائر صديق رشيد بأحمدا　　توالت على الدنيا بمن طاب مولدا
سما كوكبا فى الأرض فابتهجت به　　وأصعده مولاه فيها وأسعدا
فقلت إلى العين التى هو نورها　　أرى البدر فى أعلى المنازل قد بدا
تتوج بالإقبـــال وهو بمهده　　وبالعز فى عهد العزيز تقلدا

وقال صبرى مهنئا بالعيد . ويبدأ بالغزل على سنة الشعراء القدامى :

سفرت فلاح لنا هلال سعود　　ونمـــا الغرام بقلبى المعمود
وجلت على العشاق روض محاسن　　فسقى الحياء شقائق التوريد

ثم ينتقل إلى المدح فيقول بعد أبيات :

ليطيب لى فى حبهـــا ذلى كما　　فى مدح « إسماعيل » لذ نشيدى
يقظ ، بجودة رأيه مصر زهت　　زهو الحلى على صدور الخود
وأمدها بمعارف وعوارف　　ولطائف جلت عن « التعديد »

إن نظرة عابرة تمكن من إدراك الفرق بين النظمين ، وإن كان كلاهما دون المستوى الذى يجعله حقيقا بهذه التسمية ، ولكننا نقيس كلا منهما على الآخر ، وما أشبه النظم الأول بأخلاط من الحصى والحجر لا التئام بينها ، رصفها بناء لادراية له بصناعة ولاعلم له بفن ، فجاء بناء متداعيا . وإذا لم يكن قوله فى مطلعه « بشائر صديق رشيد بأحمدا » غثا سخيفا فما الغثاثة والسخافة إذاً ؟ لكأن القارىء حين يقرأ الأبيات يصعد فى السماء ، أو يحفر فى يوم قائظ عن عين فى الصحراء ، ومن من رجال النحو يستسيغ قوله : « فقلت إلى العين » أو يرضى « بالعز تقلد »

وإذا نظرنا النظرة عينها فى شعر صبرى ألفينامحاولةموفقةوتقليدامرضيا. وإليك هذا التخلص الطريف من الغزل إلى المدح ، ومراعاة النظير والجناس وغيرهما من أنواع البديع التى كانت آية البلاغة فى عصره ، ولا يفوتنا أن ننبه على ذلك الخطا الذى وقع فيه باستخدام كلمة التعديد بمعناها العامى ، إذ المعنى اللغوى لها هو إعداد العدة وأخذ الأهبة للقتال

تلك الطبيعة الشاعرة بدت فى يفعه نفاذة إلى الدقائق،مولعةبالتقليدواقفة عن التجديد ، كلفة بما كلف به أسلاف الشاعر من الولوع بأنواع كثيرة من البديع: كالجناس،والطباق،والتورية،ومراعاة النظير،واستخدام بعض الألفاظ الاصطلاحية فى علم من العلوم ، وهذه أمثلة لجميع ذلك استخلصناهامن قصيدة واحدة ليكون الدليل أقوم :

من الجناس : وأمدها بمعارف وعوارف ولطائف . . .

من الطباق والجناس أيضا :

واستأنى موصول عائد أنسنا فالقرب عيدى والبعاد وعيدى

من التورية :

وإلى متى ذا الصدعن مضنى الهوى عودى ليورق بالتواصل عودى

من مراعاة النظير :

قسما بنور جبينها وبخالها وسواد شعر واحمرار خدود
وبقوس حاجبها وسهم لحاظها وبخصرها وقوامها والجيد

من استخدام المصطلحات العلمية :

هو قطب دائرة المعالى والذى قد زاد عقد الرأى بالتسديد

تلك أمثلة لبعض ما كان يستخدمه متكلفا من أنواع البديع ، وذلك لأنه لايجد معينا صافيا ينهل منه ، ولا منبعا رائقا يروى ظمأه الشعرى به ، إذ لم تكن الطباعة مذللة ، ولا دواوين الشعر ، وكتب الأدب موفورة ،

وإذ سفرت الطباعة عن محاسنها أكب عليها حافظا مستوعبا ، ثم ممحصا محققا، فتحول حاله ، فإذا هو ينتزع نفسه من التفكير انتزاعا ، ويستخلص فكره مما كان يرسف فيه من أغلال استخلاصا لارفق فيه ولا هوادة ، ولا تأنى ولا اتئاد ، فها هو ذا بعد أن كان يطيل القصائد شأن المبتدئين من المتأدبين؛ لأنهم يرون الإجادة فى الإكثار ، ويزعمون الروعة فى الطوال لافى القصار فحسب أحدهم أن يقول إنه نظم قصيدة عدة أبياتها كذا أما كم الجميل فيها ؟ فذلك مالم يكن أحدهم ليعيره اهتماما ؛ لخمود الأذهان عن النقد ، وعجزها عن التمييز بين الجوهر والصدف ، ولم يكن ينشد الشعر إلا فى غرض واحد هو المدح أو مايتصل به ، فلما سافر إلى أوربة عاد عالما أن قيمة الشعر فى جودته لافى كثرته ، وأن بيتا واحدا قد يزن ديوانا كاملا كاللؤلؤة الفريدة تقوم بقناطير من الصدف ، وأن الكلف بالبديع يفقد الشعر روعة الشعور ، فإذا شعره بعدئذ مقطعات يشيع فيها الحسن ويشع منها الفن .

ولنبين أنه تحول مرة واحدة ، وطفر إلى الجمال طفرة قوية نعرض أبياتا متحدة الغرض يفرق الزمن بينها أقل من عقدين من السنين ، وهى فى حياة الأدب قصيدة ، لنعرف كيف أثرت فيه الثقافة ، وكيف كان استعداده الشعرى فطريا .

قال يهنىء الخديو إسماعيل بعيد الفطر سنة ١٨٧٤ م وكان لايزال طالبا :

تهنأ بعيد الفطر يابدر قطره ... وعش مثل ماترضى وبدرك سامى
فذا ملك الأيام وافاك زائرا ... وأضحى مطيعاً فهو مثل غلام
ترق على هام الكواكب رفعة ... وفز بالثنا مادام سيبك (هامى) ؟
لئن قدم التاريخ قبلك من مضوا ... فقد حزت بالتأخير خير مقام .

وقال مهنئا الخديو عباس بعيد الفطر كذلك سنة ١٨٩٣ م:

ياصاحب النيل الذى جرت به ... مصر على البلدان ذيلا أخضرا

حققت آمال البـــلاد وجزتها شأوا وماجزت الشباب الأنضرا
رامتـك شبلا كى تعز عرينها فأبيت إلا أن تـكون غضنفرا

وفيها يقول :

بشرى فشهر الصوم أقبل باسما يهدى إليك من السلام الأعطرا
ويثيبك الأجر المضاعف راحلا إذ كنت أفضل من يثاب وأجدرا
شهر ـ كما زنت الإمارة ناشرا فينا لواء العدل ـ زان الأشهرا
لله در نداكما فلقـد جرت أيامه أجرا وكفـك أبحـرا

إن الفرق بين النظمين لواضح ، ولو عرضت الأبيات على ناقد بصـير لا يعرف قائلها ما استطاع أى مدره أن يقنعه أنها لشـاعر واحـد ، فالأولى واهية النسيج مهلهلة الرصف ، منفرطة العقد ، فما ذلك التركيب المجموع من أمثال « وعش مثل ماترضى » و« وأضحى مطيعا فهو مثل غلام » و « مادام سيبك هامى »؟ ومن من النحاة يجيز ذلك الخطأ؟

إن هذا الشعر يدل على مقدار ما أوتيه شبان ذلك الجيل من ثقافة ، فإذا ماتقدم بالشاعر الزمن حقبة سمعت جزل اللفظ فى رصين المعنى فى قوى الأسلوب ، فكأنك حين تقرأ هذه القصيدة التى منها الأبيات الأخيرة تقرأ البحترى فى قصيدته التى يهنىء بها المتوكل لعيد الفطر وأولها :

أخفى هوى لك فى الضلوع وأظهر وألام فى كمد عليك وأعذر
وأراك خنت على الهوى من لم يخن عهد الهوى وهجرت من لا يهجر

وفيها يقول :

فانعم بيوم الفطر عينا إنه يوم أغر من الزمان مشهر
الله أعطاك المحبة فى الورى وحباك بالفضل الذى لا ينكر

ألست تشعر أن القصيدتين تنبعان من منبع واحد وتصدران عن شاعر واحد؟ وإلا فما الفرق البعيد بين قول البحترى « فانعم بيوم الفطر ... الخ »

وقول صبري « شهر كما زنت ... الخ » .

أنا لا أنكر أن صبري نظر في قصيدة البحتري ونهل من معانيها وجاراه في أسلوبها ، وإن لم يتبعه في رويها ، وكم من الشعراء يحاولون تقليد غيرهم فيعجزون .

تلك وقفة معتدلة عند شاعرية صبري نستخلص منها ما يأتي :

١ – أنه شاعر مطبوع رغم ضعف شعره الذي نظمه في فجر حياته؛ لأن سبب ذلك الضعف ضعف الثقافة ، وحداثة سنه .

٢ – نهج في شعره منهج الشعراء في المماليك الذين كان قصارى جهدهم ملء شعرهم بالمحسنات البديعية مع سقم في الأسلوب ، وفقر في المعاني ، وخروج أحيانا على القواعد اللغوية والنحوية .

٣ – تحول عن هذا النهج تحولا ظاهرا بعد اتساع ثقافته بقراءته دواوين الشعراء ، وبنهله من الآداب الغربية .

٢
صبري وشعراء عصره

لم يكن إسماعيل صبري من صنائع الشعر ، فيستولي على مشاعره ، ويستأثر بعواطفه ، ولا ينفي ذلك أنه كان مطبوعا عليه ، وإنما كان يتخذ الشعر ملهاة له وسلوى في أكثر أحايينه ، فكان ذلك من أسباب تخلفه عن زعماء عصره الثلاثة « البارودي وشوقي وحافظ » إذ العقول ينالها الخمود، والأخيلة يصيبها الصدأ، إذا لم تشب الأولى بالتروي والتفكير ، ولم تصقل الثانية بالتنور والتأمل ، وحين أوازن بين صبري ولداته الثلاثة لا أزعم أنه مساويهم في جميع أغراضهم الشعرية ، وإنما أريد أن أصل إلى أنه قد يجيء مجليا في حلبتهم أحيانا ، وعلى كل قلما يجيء سكيتا ، وحسبه شاعرية أن يكون من حلبة هؤلاء كما أقصد إلى رسم نهج في الموازنة الشعرية بعد أن عادت لها في أفق الأدب

مكانتها الأولى ، ففيها الدليل على مقدار ما أصاب الموازن من الذوق الأدبى والقدرة على النقد المدعم بالحجة والبرهان .

وسأجعل الموازنة بين أبيات قليلة متحدة الغرض ؛ لأن المجال لا يتسع للموازنات المسهبة ، على أن الشاعر قد ينم على شاعريته البيت الفرد كما ينم الأريج على لون الورد .

البارودى وصبرى :

نبدأ بالموازنة بينهما ؛ لتقاربهما فى العهد . فالبارودى يسبق صبرى مولدا ووفاة بنحو عقدين ، والغرض الذى تخيرته للموازنة بينهما الغزل ؛ لأن الحضارة التى نهل منها صبرى وعل جعلت الغزل أبرز أغراضه .

قال البارودى :

علمتنى الذل وكنت امرأ أفعل ما شئت ولا أتقى
فارحم فؤاداً أنت أبليته ومقلة لولاك لم تأرق
لم أدر حتام أقاسى الجوى ؟ ياويح قلبى منك ماذا لقى ؟
وكيف لا أعشق من حسنه يدعو إلى الصبوة قلب التقى ؟
لك الجمال التم دون الورى وليس للبدر سوى رونق

وقال صبرى :

يامن أقام فؤادى مـــذ تملكه مابين نارين : من شوق ومن شجن
تفديك أعين قوم حولك ازدحمت عطشى إلى نهلة من وجهك الحسن
وتستعيـــذ إذا ألفتك مبتسما عن لؤلؤ بالنهى حرزا من الفتن
جردت كل مليح مرن ملاحته لم تتق الله فى ظبى ولا غصُن
فاستبق للبدر بين الشهب رتبته تملكه فى أوجه عبداً بلا ثمَن

خمسة أبيات لكل من الشاعرين ، الأولى مختارة من قصيدة ، والثانية مقطوعة بتمامها ، وفى القطعتين معان مشتركة وأخرى مفترقة ، وتجىء الموازنة

فى المعانى المشتركة بين روعة البيان وحسن الأداء ، ودقة التصور ، ووضوح التصوير ، لأن أكثرها معان شائعة لافضل فيها لأحدهما ولنظر فى المفترقة نظرة فاحصة لنتبين أى المعنيين أسمى فى هذا الموضع بذاته .

(١) تحدث كلا الشاعرين عن فؤاده ، فبعد أن أشعرنا البارودى بعزته التى لاتتقى شيئا طلب الرحمة بفؤاده ؛ إذ أبلاه الهوى ، وتمناها لمقلته التى أرقها الجوى ، وملك حبيب صبرى قلبه ، ولم يدعه معذب إساره فحسب ، وإنما أقامه بين نارين ليس فى إحداهما برد ولاسلام ، ومع كل هذا لم يسترحم مسترقه ، ولاشكا شوقه .

وليس شك فى أن معنى صبرى أدق تصورا؛لأن القلب متى بلى استراح فهو لايستأهل طلب الرحمة ، ورجاءالرحمة بالعين لأرقها رجاء تافهلايستسيغه العشاق ، كذلك تصوير صبرى أروع ؛ لأنه ملك فؤاده حبيبه ورضى بمكانه الذى وضعه فيه وهو نار الشرق والشجن ، وأين من قول صبرى :

تفديك أعين قوم حولك ازدحمت عطشى إلى نهلة من وجهك الحسن

قول البارودى :

فارحم فؤاداً أنت أبليته ومقـــلة لو شئت لم تأرق

إن أرق الحبيب الواله أدنى أسباب العشق. أما اقتداء المحبوب بحدق العيون فدليل البعد عن القصد فى الوجد ، ولايغض من جمال المعنى أنه مأخوذ من قول أبى نواس :

فإذا بدا اقتادت محاسنه قسرا إليه أعنة الحـــدق

أو من قول أبى الحسن العقيلى :

كلما لاح وجهـــه بمكان كثرت زحمة العيون عليه

فإنه على فرض أخذه من أحدهما أو من كليهما تصرف في المعنى حتى صيره خيرا من معناهما باقتياد العيون المحبوب .

(٢) شكا البارودى من الحب فقال :

لم أدر حتـــام أقاسى الجـوى   ياويح قلبى منـك ! ماذا لقى ؟

وكأنى به نسى :

شكوت فقالت كل هذا تبرما   بحبى أراح الله قلبـك من حبى

والحق أن سعادة المحب فى شقاوته . أما صبرى فلم يستبعد الغاية ولم يدع لقلبه بالمرحمة مرة بعد مرة ، وإنما ذهب مذهبا عجبا له أحسن الوقع فى النفس: استعاذت عيناه حينما رأتا محبوبهما مبتسما عن مثل اللؤلؤ ، والشكوى من أحدهما ، ووصف الثنايا من الثانى من المعانى المفترقة بينهما .

(٣) ووصف البارودى محبوبه بأن جماله يفتن التقى ، وهو معنى ورد فى أبيات صبرى فى صورة أخرى ، والصورة التى تخيرها البارودى كثيرة التناول ؛ أرسلها النابغة من سماء خياله الصافية من قرابة خمسة عشر قرنا ، ولم يجىء الشعراء من بعده بخير منها قال :

لو أنهـا عرضت لأشمط راهب   فى رأس مشرفة الذرا يتبتل

لرنا لبهجتها وحسن حديثهـا   ولهمَّ من ناموسه يتنزل

ووصف صبرى محبوبه بحسن لم يبلغه مخلوق ، فقد جرد كل الخلائق من مفاتنها وسلبها محاسنها ، فله من الظبى الأغن قسط ، ومن الغصن اللدن حظ ، ، وله من البدر عبد رق . ودعاه أن يستبق للبدر بين الكوا كب رتبته وحسبه منه أنه عبده الخاضع .

هـذه نظرة مستقصية فى المعانى ، أما الأسلوب وتخير الألفاظ ، فإن أسلوب البارودى يذكرنا بعزة أبى فراس وقوة روحه ، وينبىء أسلوب صبرى عن وداعة المحبين وذلة المغرمين ، وهو أسلوب الغزلين .

أما النواحى البلاغية « وليس أحد من القارئين فى حاجة إلى تقصيها » ـ وأثرها فى الجمال لا ينكر ـ إذا ماجاءت بقدر فشعر البارودى بها أبرز وأظهر،

ولكنها لا ترجح كفة الميزان ، وإذاً فصبرى فارس الحلبة على رجل الحلبة .

صبرى وشوقى :

كان صبرى وشوقى صديقين لم تؤثر المنافسة ـ إن كانت ـ فيهما ، فأرسل شوقى إلى صبرى وهو فى منفاه سنة ١٩١٧م

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا بعد الهدوء ويهمى من مآقينا
ترقرق الماء فى عين السماء وما غاض الأسى تخضبنا الأرض باكينا

فأجابه صبرى بهذه الأبيات :

ياوامض البرق كم نبهت من شجن فى أضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماء فى مقل والنار فى مهج قد حار بينهما أمر المحبينا
لولا تذكر أيام لنا سلفت ما بات يبكى وما فى الأرض باكينا
يا آل ودى عودوا لاعدمتكم وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا
يا نسمة ضمخت أذيالها سحرا أزهار أندلس هى بوادينا

نظرة قصيرة تقدر على الحكم العادل ، فشوقى بلغ غرضه كاملا فى بيتين ، بينا لم يشف صبرى غلته بأبياته الخمسة ، صور شوقى الجوى صورة سافرة الحسن بادية الجمال ، فخاطب البرق ساريا إذ الهدوء شامل والطبيعة ساكنة والذكريات ثائرة ، وتصوير السحاب فى عين السماء برقرقة الدمع فى مقلة الحزين تصوير أخاذ ، وإذا كان البكاء يشفى الغليل ، فإنه فى شاعرنا لم يغض أساه ، ولم يخفف جواه ، فخضب الأرض بدماء الجفون ، وسار صبرى على نهجه ، أو على نهج من اختاره شوقى هاديا لهما ، ابن زيدون إذ يقول:

يا سارى البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا
واسأل هنالك هل عنى تذكرنا إلفا تذكره أمسى يعنينا . . . ؟

نادى صبرى البرق متأففاً ، لأنه أثار شجنه ، ونبه حزنه ، وجدير بمثله ألا يذهل عن داء القلب الذى مبعثه الحب ، وألا يطلب منه برءا ، ولم يجر البيت الثانى على أنه يمثل حاله – وإن أراد – بل أتى فيه بظاهرة من شئون المحبين ، وعلاقته بالبيت السابق واهية ولو جاء فى ترتيب الأبيات ثالثا لكان أحكم .

وجميل منه الأسى على أيام مضت وسويعات سلفت نال فيها أمانيه ، وغير الجميل منه أن يرجو عدم الذكرى حتى لا تفيض عبراته ولو قال :

كم من تذكر أيام لنا سلفت جرت دماء غزار من مآقينا

لبلغ رجاء المحبين .

وفى البيت الرابع دعاء لآل وده بالعودة : لا لأن العودة تقر العيون العبرى ، وتطمئن النفوس الولهى ، بل ليشاهدوا ما فعلته النوى ، وهى أثرة ليست من خلق المولهين على أن تكرار الدعاء فى البيت الواحد يدل على وفاء فى الوفاء ، وفى البيت الخامس نادى نسمة السحر المضمخة بعبير الزهر وتمنى أن تهب بواديه ولا أكاد أجد اتصالا بين هذا البيت فى وضعه الذى وضعه صبرى وبين البيت السابق له فخطاب النسمة أن تهب دون أن تمر على ديار المحبوب ثمن مبتور .

والآن أترك للقارىء الباحث حصر أدلة فضل بيتى شوقى ؟

عبد العظيم على قناوى

ابن خـــــــــلدون

٧٣٢ – ٨٠٨ هـ – ١٣٣٢ – ١٤٠٦ م

لحضرة الأستاذ محمد سعيد العريان

نسبه ومنشؤه :

هو أبو زيد ، ولى الدين ، عبدالرحمن بن محمد . . . . . ابن عبد الرحمن ابن خلدون (١)

وينتسب أجداده الأوائل إلى بنى حجر من ملوك كندة ، وكان منزلهم حضرموت من بلاد اليمن ، ومنهم وائل بن حجر وافد اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر الإسلام وامتدت فتوحه حتى بلغت الأندلس ، هاجر إليها من حضرموت رأس هذه الأسرة الحضرمية فى أول عهد الفتح ، واسمه خالد بن عثمان ، فنزل بمدينة قَرْمُونِيَه من أعمال أشبيلية (٢) ، وقد ذاع ذِكْر

---

(١) يكثر هذا الوزن فى أسماء الاسر الاندلسية والمغربية ، فمنهم زيدون ، وعبدون ، وسعدون ، إلى أسماء أخر ، ويرى المستشرق دوزى أن الواو والنون زائدتان هنا للتكبير ، وأن مثل ذلك فى اللغة الاسبانية ، نحو : قولهم جراندون (grandon) أى كبير جدا ، وموجيرونا (mugerona) أى امرأة كبيرة ، فاذا صح ما يقوله دوزى كان ذلك أثرا من آثار الاسبانيين فى جيرانهم ، وكان معنى خلدون خلدا الكبير ، أو خالدا على التخفيف ، وهو اسم أولهم فى الاندلس.

(٢) مدينة عظيمة على شاطىء نهر الوادى الكبير ، وهى المدينة الرابعة فى الاندلس ، واسمها بالاسبانية (Séville)

بنى خلدون بها ، منذ عهد الأمير عبد الله بن محمد الأموى ، فى أواخر القرن الثالث للهجرة ، فكان منهم وزراء وقواد وزعماءُ وحَجَبة ؛ واستمر شأنهم فى إقبال طَوال عهد بين أمية وبنى عبّاد والمرابطين والموحّدين، فلما اضطربت أحوال الأندلس وقوى سلطانُ النصرانية فى القرن السادس الهجرى ، غادروا الأندلس إلى إفريقيّة ، فأقاموا حيناً بِسَبْتَه ، ثم اتخذوا تُونُس مستقَراً و مقاما .

وظلّ شأن بنى خلدون فى المغرب كما كان شأنهم فى الأندلس : يتقلدون الجسيم من أمر الدولة ، حتى كان مولد ابن خلدون ، فى رمضان سنة ٧٣٢ هـ (مايو سنة ١٣٣٢ م) فلم يكد يتجاوز السابعة عشرة من عمره حتى هلك أبواه فى الوباء العام الذى اجتاح أوربة وإفريقية سنة ٧٤٩ هـ .

حياته :

تشبه حياة ابن خلدون أن تكون مغامرة من المغامرات المحبوكة أو قصة من نسج الخيال ، فقد تقلبت عليه ظروف وأحداث لم تجتمع لمثله ، ومضى حياته ؛ يتنقل بين بلاد المشرق والمغرب ، يستطلع من أخبارها ويدرس من حوادثها فكان له من ذلك ما هيأه لهذا النضج العقلى الذى أوحى إليه أن ينشىء ما أنشأ فى فلسفة التاريخ ، وأحلّه فى الذروة بين رجال الفكر العربى ، بل بين قادة الفكر فى العالم كله .

وليس يتسع المقام هنا لتفصيل الأحداث التى مرت به أو التى مرّ بها ، وحسبنا أن نشير إلى أنه قد خدم فى بلاط عشر دويلات فى المغرب والأندلس بين وزير وسفير وحاجب (١) ، وصحِبَ التاريخَ فى كل دولةٍ منها صُحبة ذاتَ أثرٍ ، فتاريخُها من تاريخه ؛ وقد برزت عبقرية ابن خلدون فى هذه

(١) كانت الحجابة فى ذلك العصر تعادل رياسة الوزارة فى عهدنا ، ونعنى بالسفارة ما كان يكلفه الامراء من الوساطة بينه وبين القبائل للدعاية أو الاستنفار .

الفترة السياسية من حياته بروزاً يكشف عن مقدار ما كان له من المنزلة والسلطان فى هذه الدويلات ، على ما بينهما من أسباب الخلاف والتربص للكيد؛ على أنه لولا التجاربُ القاسية التى مرَّ بها فى هذه الحِقْبة لما تهيأ له أن ينتهى إلى هذه النتائج العظيمة التى بلغها فى مقدمته ، والتى لا يزال لكثير منها إلى اليوم اعتبارُها العلمىُّ فى الشرق والغرب .

وهذه الفترة تنتظم حياته منذ سنة ٧٥١ هـ — وهو فى العشرين من عمره — إلى سنة ٧٧٦ هـ ، ثم ملَّ السياسة ومغامرتها فانقطع حيناً إلى الدرس والقراءة وأنشأ مقدمته وهو بعيدٌ عن معترك النِّضال فى إحدى قلاع تونس ، ولكن روحه الوثابة لم تهدأ إلى هذه العزلة ، فعاد إلى مغامراته السياسية ، فما زال فيها يَخُب ويَضَع حتى سنة ٧٨٤ هـ

ولقد َلقِى فى حياته السياسية صنوفا من التجاريب وألوانا من العذاب لعلَّ أخفَّها ما كان من حبسه فى سنة ٧٥٨ — ٧٥٩ هـ ، حَبسه السلطان أبو عنان أمير َفاس وتِلْمِسانَ وبجَاية .

وفى سنة ٧٨٤ هـ ، بدأت حياة ابن خلدون فى طور آخر بالرحلة إلى القاهرة ، فترك السياسة وألاعيبها لينقطع للعلم ؛ وقد عرف له المصريون منزلته ، فتسابقوا إلى حَلقة درسه بالأزهر ؛ وبرَّه كذلك أمراءُ مصر فزيَّنوا له المُقام بما أقطعوه من وظائف وما أجرَوْا عليه من الرزق؛ وما زال يتقلب بين دوائر العلم فى مصر حتى وَلِىَ منصب قضاء المالكية .

على أن ابن خلدون لم يَزَلْ تنزِعُ به نوازعُ دائه الأصيل إلى السياسة ولا يجدُ مُتَنَفَّساً ، حتى كان ظهورُ تيمورَلنك ومحاولتُه غزْوَ الشام سنة ٨٠٣ ، فتَهيَّأت له الفرصة ليؤدِّى عملاً ، فأنشأ صلةً بينه وبين تيمورلنك وأهدى إليه من هداياه وَقبِل من جوائزه .

ولم يكن ذلك كل عمله السياسى منذ هبط القاهرة ، بل كانت له إلى ذلك

محاولات لربط أواصر الود بين سلاطين مصر وأمراء المغرب ، فزيَّن لسلطانِ مصر أن يُهدىَ إليهم وأن يقبل من هداياهم ؛ فكان بذلك سفيرا من سفراء السلام بين هذه البلاد الشقيقة المتجاورة .

ثم كانت وفاته فى مصر سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

منزلته بين أهل التاريخ :

تعد مقدمة ابن خلدون أساس شهرته ؛ وليست هى كلَّ ما أنتج ، ولكنه بها وحدها صار ما صار بين قادةِ الفكر ، فقد أنشأ بها فنًّا واستحدث علماً جديداً ، فهو أول من وضع الفلسفة الاجتماعية فى قالب علمىّ ، وأول من حدَّد حدود هذا الفن وقعَّد قواعده ؛ ولا نَعرْف فى تاريخ الشرق أو الغرب رجلا قبل ابن خلدون تناول هذا الفن من قريب أو من بعيد ، وكل من جاء بعده فعلى أساسه يَبنى ، ولا يزال كثير من نظرياته فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعمران أصلا يُعوَّل عليه ويُستَنَد إليه .

وليست هذه المقدمة كتاباً مستقلا ، ولكنها صَدْرُ كتابه المسمى : « كتاب العبر ، وديوان المبتدإ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومَن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » : وهو كما يُفهم من عُنوانه كتابُ تاريخ ، وقد قسمه مؤلفه إلى ثلاثة كتب ؛ الكتاب الاول منها هو هذه المقدمة ، والكتابان الباقيان فى أخبار العرب ومن عاصرهم ، وأخبار البربر والمغرب ، ويتبع ذلك ما يصح أن نسميه كتابا رابعا ، وهو التعريف بابن خلدون ورحلاته بين المشرق والمغرب ، وقد قصَّ فيه حياته وعرف بنفسه على نمط طريف لم يسبقه إلى مثله سابق .

وينقسم الكتاب الأول — وهو المقدمة — إلى تمهيد وستة أبواب :

الباب الأول : فى العمران البشرى على الجملة ، وفيه ست مقدمات .

الباب الثانى : فى العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل ومايعرض فى ذلك من الأحوال ، وفيه تسعة وعشرون فصلا .

الباب الثالث : فى الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال ، وفيه ثلاثة وخمسون فصلا .

الباب الرابع : فى البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض فى ذلك من الأحوال ، وفيه اثنان وعشرون فصلا .

الباب الخامس : فى المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع ومايعرضه فى ذلك كله من الأحوال ، وفيه ثلاثة وثلاثون فصلا .

الباب السادس : فى العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال ، وفيه خمسون فصلا .

✡✡✡

وأظهر مايتميز به تاريخ ابن خلدون ـ فى جزأيه الثانى والثالث ـ على ماسبقه من كتب التاريخ ، هو تنظيمه وحسنُ مَعْرِضه ، وقد رتبه على الحوادث والأمم والأسر الحاكمة ، لاعلى السنين كبعض من سبقه من مؤرِّخى العرب ؛ ثم هو أصدقُ مايروَى عن تاريخ المغرب والبربر ، وإنه فى ذلك ليكاد يُعد الوحيدَ فى بابه ؛ إذ كان يرْوى عن المشاهدة والآثار الماثلة والتاريخ الحىّ فى أعراقه ودَمه.

مؤلفــاته :

ولابن خلدون غير المقدمة والتاريخ مؤلفات ، نذكر منها :

شرح قصيدة البردة للبوصيرى .

تلخيص كتاب المحصل للرازى فى الفقه .

شرح أرجوزة فى الفقه للسان الدين بن الخطيب .

تلخيص بعض رسائل الفيلسوف ابن رشد .

رسالة فى المنطق

رسالة فى الحساب .

على أن هذه المؤلفات كلها لم يصل إلينا منها غير مقدمته وتاريخه .

منزلته الأدبية :

نشرت مقدمة ابن خلدون لأول مرة فى مصر سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧ م) أى منذ نحو قرن ؛ وماذا كانت الآداب فى مصر منذ نحو قرن ؟ ولمن كان يقرأ القارىء العربىُّ فى مصر وغيرِها من بلاد الشرق ؟ هل كان ثَمَّةَ إلا البيان النازلُ والعبارةُ المتهافتةُ والسجعُ السخيفُ والزخرفُ اللفظى الذى يَستهلك المعنى ؟ فلا عجب إذن أن يكون ظهورُ مقدمة ابن خلدون ببيانها المرسل وأسلوبها الطَّلْقِ ومعانيها البِكر ، نموذجاً يُقاسُ ويحتذى ويضرب به المثل : ومن هنا قدروا لابن خلدون منزلته الادبية ، وجعلوه من أصحاب البيان الرائع والإنشاء البليغ ، وارتفعوا به منازال عن منزلته . . .

وإنه لأديب ، وإن له لمنزلة بين أبناء العربية ، ولكنها لا تبلغ به ما أرادوا ؛ فإن له ميزات يرتفع بها وعيوباً تنزل به .

وأول ما ينبغى أن نشير إليه من ميزاته

ا — هو ذلك البيان المرسل فى جملته ، لا يظهر فيه أثر الصنعة إلا قليلا من قليل .

ب — ثم اتساقُ أسلوبه على نظام منطقى يؤدى بالمقدمات إلى نتائجها فى أبسط صورة وعلى أيسر وجه .

ح — ثم مرونة عبارته وقوة تحملها لأداء كثير من الآراء المعقدة والخواطر المبعثرة ؛ مع حسن التقسيم وضبط الفروع وتحديد المصطلحات .

على أننا نغمطه حقه لو قسنا أدبه بمقدمته ، فإنك لتقرأ شعره وما كان بينه وبين لسان الدين بن الخطيب من رسائل ، وما يصف من حياته فى كتاب الشريف ، فتقرأ شعراً ونثراً حقيقين بالدرس والعناية .

ومما يؤخذ عليه ويعاب به أسلوبه :

ا — الغلط فى استعمال الـكلمات ووضعها فى غير موضعها

ب — استعمال العامى من الـكلمات لغير ضرورة والعدول به عن الفصيح السائغ .

ح — الاقتضاب المخل او الإسهاب الممل ؛ فقد يجتزىء الحديث فى مواضع قبل وضوح المراد منه فيدع القارىء فى حيرة ! وقد يسهب و يطيل فى مواضع أخرى فيبعث السأم والملالة ، وقد يفصل بين جزأى الجملة بالاعتراض الطويل الذى يحمل على اللبس والغلط

د — كثرة أغلاطه النحوية ، مثل ترك الشرط بلا جواب والمبتدإ بلا خبر

ه — الخطأ فى استعمال الضمائر والتوسع فى الاستخدام ، بحيث يضل القارىء فى إعادة الضمير على صاحبه ، وقد يستعمل الضمير وليس فى الجملة ما يعود عليه

و — وهو فى باب العطف مثله فى باب الضمير ، لا يتحرى القصد ولا يكشف عن الغرض إلا بعيدا من بعيد .

ولـكن ذلك كله لا يغض من منزلته الأدبية ، وإنما ذكرناه ليعرفه قارئه على حقيقته ، فلا يضل ضلاله به ولا تغفله حسناته عن مساويه .

وإنه لما يحملنا على التنويه بأدب ابن خلدون من الناحية الموضوعية شيئان:

ا — أنه أديب عالم ، وليس يتأتى للكثير من أهل الادب أن يجمعوا بين المنزلتين.

ب — وأنه أول كاتب عربى فيما نعرف خصص لتاريخ حياته كتابا كاملا ، وحسبك به من كتاب !

خاتمة

ويبدو فى بعض ما يكتب ابن خلدون تحامل على العرب ، وإنه لعربى حضرمى ، ولـكن ذلك لا ينبغى أن يخدعنا عن العصبية المغربية التى يفور بها دمه ، فقد هاجر رأس أسرة خلدون إلى المغرب فى القرن الأول للهجرة،

وكان خروج المغرب من سلطان العرب فى القرن الثانى ؛ فماذا تراه قد بقى فى دمه من التراث العربى والشعور بالعزة العربية بعد ستة قرون ، والمغربُ مغربٌ بناسه وعواطفه وتقاليده وروحه الثائرة ؟ فإن المكان ليوحى إليه وإن الوزراء والحجاب وذوى السلطان من أجداده فى المغرب ليتحدثون إليه من وراء الغيب ، وإن طموحه وشهوته إلى الحكم وتقلبه بين دويلات المغرب من بلاط إلى بلاط لحقيق بأن يجد له عصبية من شهوته غير العصبية التى فى دمه ، من كل ذلك لا نرى تحامل ابن خلدون على العرب ينزل منزلة الرأى المجرد ، ولكنها أحكام يعوزها الأناة وصدق النظر .

***

وبعد ، فقد كنا على أن نسهب فى هذا البحث حتى نبلغ به ما نشاء فى الكشف عن حياة ابن خلدون ، ومذهبه ، وآرائه ، وما أجد على العلم وعلى التاريخ ، ولكن اجتزأنا خوف الإملال والمشقة على القارىء وإن له فى القليل ما قد يغنى عن الكثير ، وقد أفاض كثير من المؤلفين(*) وأهل النظر فى الحديث عن ابن خلدون فى كثير من نواحيه ، فمن أراد المزيد فثمة المورد الذى لا ينضب ، والمعين الذى لا تكدره الدلاء .

محمد سعيد العريان

(*) أنظر الكتب الآتية :

(١) التعريف بابن خلدون : ترجمة الكاتب بقلمه ، منشور فى آخر تاريخه : المجلد السادس طبعة بولاق

(٢) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ـ للدكتور طه حسين بك

(٣) ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى ـ للأستاذ محمد عبد الله عنان

(٤) ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربى فى القرن الرابع عشر لفون فيسندنك Von Wesendonk ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى

(٦) الروائع ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من السلسلة الثانية : للاستاذ فؤاد أفرام البستانى

(٧) مقدمة تاريخ ابن خلدون : للاستاذ أحمد أمين بك ، طبعة الحلبي

النزعات الحـــديثة

فى الشـــعر (١)

للأستاذ العوضى الوكيل

المدرس بمدرسة الأمير فاروق الابتدائية

حضرات الزملاء والأساتذة الأجلاء.

أشكر لحضراتكم تفضلكم بالحضور لسماع هذه المحاضرة ، وأشكر لنادى دار العلوم أن مكننى من إلقائها ، وأرجو أن أوفق إلى إردافها بمحاضرة أو محاضرات فى الشعر الحديث ، فإن الشعر الحديث وهو الذى يجب أن يكون أكثر فهماً ووضوحا ومعرفة من غيره – مهمل مضيع غير مفهوم الأغراض والنواحى ، يتهكم الناس بذكره ويهزءون من رجاله جهلا وسفاهة وقد لقيت المرحوم الأستاذ الهراوى مرة ينشد فى تهكم وسخرية :

أنت كوخ معشـــوشب أزلى ... مقمر الصمت فى ظلال السكون

ويعيده ضاحكا ويقول هذا هو شعركم الحديث فقلت : له إن هذا البيت لصديقنا الشاعر الهمشرى وهو محرف وصحته :

أنت كوخٌ معشوشبٌ فى رباةٍ ... مقمرُ الصمتِ سرمدىُّ الخيالِ

فقال : ماجئت بشىء هذا من ذاك وذاك من هذا . : كله شعر حديث ...

---

(١) محاضرة القيت فى نادى دار العلوم مساء الخميس ٨ من يناير سنة ١٩٤٢

فأخذت أفهمه رحمه الله أن البيت لا يقرأ وحده ليدرك جماله ، وأن هذا البيت جميل رائع برغم نزعه من قصيدته . وماذا يريد من شاعر يصف إحساسه حين يلقى حبيبته فيقول إنه كإحساس المضنى من المشى المجهود من صعود رباة يجد فى قمتها كوخاً تعاطفت الأغصان والأعشاب عليه ، وقد هدأ من حوله المكان وألقى القمر عليه أشعة صافية ساطعة ، وسرح خياله فى هذا الجمال الذى لا ينتهى مداه .

وقد ضيع الشعر الحديث فريقان من الناس : فريق نصب نفسه لعداوة كل جديد صدى لتقديسه كل قديم من فنون الأدب من غير تمييز ولا فهم، فكل قديم عنده حسن،وكل جديد قبيح من غير بحث ولا نظر ،ودون مناقشة أو مراجعة ، وهذا الفريق طبقات ، وأشدها غلوا من يهمل النظر فى الشعر بعد القرن الثالث ، كأن الاستشهاد هو الذى يعنى هؤلاء المخاليق ، ومنهم وهم أكثر تساهلا من سابقيهم من يوقف الشعر ويميته بموت شوقى وحافظ، كأنما الحياة بشتى مناظرها وشتى اتجاهاتها وشتى موجبات الشعر فيها قد ماتت بموت هذين الشاعرين .

وفريق حسب نفسه على الشعر الحديث ، وظن أن الشعر الحديث هو اللفظ البراق والرقش الجذاب ، والكلمة الراقصة والعبارة المرتعشة والخيال الذى تحاول أن تحدده من هنا فيفر من هناك ، وإلا غراب الذى لا تعرفه النفس الأنسانية ولا تدركه طبيعة الانسان الشاعرة .

وقد عمد هؤلاء إلى بضعة وعشرين لفظاً عذباً فسلكوها فى الأوزان ، وصيروها مرة على وزن الطويل فكانت قصيدة ، ثم صيروها مرة أخرى على وزن البسيط فكانت قصيدة أخرى،وهكذا ، وليس هناك شعور ولا إحساس ، وقد سحروا الآذان بحسن رصفهم وأناقة أثوابهم ولكنهم لم

يصلوا إلى القلوب؛لأن أبياتهم جثث هامدة لا أرواح فيها . وقد أراد أحد الظرفاءأن يلخص مذهبهم فى الشعر ، فنظم هذه القصيدة على لسان أحدهم وهى شدة الشبه بينها وبين مذهبهم تكاد تحسب من شعرهم الأصيل قال :

رقصَ البدر على لحنِ الصخورْ   يا سماء فى جبال من بحور
وثغوراً فى نحور من زهورْ   قد حبسنا الجو فيها فانطلقْ

* * *

الهوى يذبح أشلاء النعيمْ   والمنى تلفح أفياءَ الجحيمْ
والرؤى تقفز فى وجه السديمْ   والرياح البيض تجتاح الغسقْ

* * *

نامت الأمواج فى حضن الفلكْ   وارتمى الشيطان فى جوف الملكْ
وانتشى الطاووس من ماء الحلك   واستراح الظل فى حجر الشفقْ

* * *

وثب الليـــل على برج الزَبدْ   وتدلى الصبح من جِسر الأبَدْ
وارتقينا القاعَ من غيرِ عَمدْ   واستبقنا النور حبوا فاستبقْ

* * *

يا هزيج الوجد فى مسرى العصورْ   جف ريق الحب فى ثغر الأمورْ
ولقد كانت —وما كانت— عطورْ   تلمز الغيب إذا الغيب نَفقْ

* * *

الهيولى فى مزامير الأزَلْ   تسكب الحزنَ وللحزنِ غزَلْ
صعد القلب عليها ونَزَلْ   وتردى الماء فيها فاحترقْ

فهذا كلام ، كلام ولا شك ، ومنظوم على بحر الرمل ولكل كلمة معنى مفهوم،ولكن هل هناك معنى يفهم من هذه الأبيات،أو معنى يفهم من كل

بيت على حدة،وهذه الأبيات تشبه القصور التى تراها من بعيد فخمةضخمة، ثم تقترب منها فتجدها مصنوعة من الورق المزركش.

أساء هؤلاء إلى الشعر الحديث أشد الإساءة، وهم يحسبون أنهم من أنصاره،فقدصوروا الشعر الحديث فى أذهان الناس كلاما وعبارات.وليس هو بكلام ولا عبارات، وأذاعوا أنه لباقة لفظية وغلبة لسانية، وما هو بلباقة لفظية ولا غلبة لسانية.

ووقر فى أخلاد الناس بعد ذلك أن الشعر الذى يدق فى تصوير الحالات النفسية ويتعمق فى التفسير «الفنى» لبعض العواطف الإنسانية فلسفة لا شعر، وأن الشعر الحق هو ما كان فيه تهاويل من الألفاظ «وتهاويش» من المعانى إن صح هذا التعبير.

أيها الإخوان الأجلاء:

يتقدم الفكر الإنسانى،وترحب النفس بالثقافة،وتدخر فى أطوائها تجارب الأجيال، ويدرك الإنسان من أسرار الطبيعة ما كان يجهل، وتنفسح أمامه آماد التفكير والخيال والشعور، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس متشابهين أقرب التشابه فى صورهم وأجسامهم، ولكنهم مختلفون أشد اختلاف وأبعده فى نفوسهم وعواطفهم وأحلامهم وأحاسيسهم، فليس الله جل شأنه أوجدنا على قالب واحد وصورة واحدة، وهذا كلام من البداهة بحيث لا يحتاج إلى تدليل.

وتأملوا، قد ننظر جميعا إلى بستان زاهر نضير، فلا يرى أحدنا منه إلا أنه هاج له ذكرى حبيب لقيه تحت ظلة من أغصانه ثم باعدت بينهما الأيام.

وقد لا يثير هذا البستان فى نفس أخرى إلا تشاؤماً من الحياة — على بعد ما بين النضارة والتشاؤم — لأنه يرى الزهر ويذكر ذبوله بعد عمر ضرب

المثل بقصره ثم يذكر الموت والفناء

ولا يثير هذا البستان النضير فى نفس راء ثالث إلا إحساس الجشع والمادية ، فيود لو ملكه وزرعه قطنا أو قمحا ، أو يود لو حفرفيه حفرة فوجد فيها كنزاً ، أو منجما من مناجم الذهب،ولا يعنيه ما فيه من نضارة أو نماء

وقد عبرت عن هذا الرأى قديما فقلت :

ليس بالكون ماتراه عيونى إنما الكون ماتراه الشعورُ

هذه تقدمة لا بدمنها، لكى نستطيع أن نقرر أن الشعر الحديث لا يعترف بالتقليد ولا يقره،لأن الشعرصورة صادقة صحيحة من النفس ، وقد ثبت أن النفوس الإنسانية مختلفة المشاعر والعواطف والأحلام ، وقد ثبت أن كل نفس ترى الكون على صورة خاصة لا يشاركها فيها مشارك،فوجب إذنأ ن يكون شعر كل شاعر على نمط من الشعور والتفكير لا يشاركهفيهمشارك،ومن هنا تعددت الأنماط فى الشعر الحديث ، وتباينت الاتجاهات ، واستقلت النظرات.فالشاعر سيد قطب شاعر الرموز والظلال والحيرة والتأمل وهذه سمات لا تفارقه لأنها سمات نفسهالشاعرة . والشاعر مخيمرشاعرتحليل الشعور وتبسيطه والتغلغل فى أعماقه وعرضه فى صور تكاد تنطق لفرط مايضفى عليها مخيمر من حيوية نفسه . ونستطيع بعد كل هذا الكلام الطويل أن نقرر مطمئنين أن أول نزعة من نزعات الشعر الحديث البعد عن التقليد،لأن التقليد يعطل جزءا كبيرا من كينونة الإنسان إن لم يعطلها كلها .

والتقليد بداهةلا يكون فى الألفاظ وإنما يكون فى الإحساسات والمعانى، على أنه قد يقع اتفاق فى المعنى أو فى الصورة بين شاعرين ثم لا يحسب ذلك من تقليدأحدهما للآخر مادام كل شاعر منهما ينقل عن نفسه ويخلص فى النقل عنها ، وقريب من هذا أن تعطى رسما واحدا لرسامين فيرسمه أحدهما

على «أرضية» حمراء ويرسمه الآخر على «أرضية» خضراء. فيتخذ كل من الرسمين موقعا من نفس ناظره لا يتخذه الرسم الآخر، ولذلك فى الشعر أمثلة كثيرة.

قال الشاعر أحمد مخيمر — وهو أحد شعراء دار العلوم

أنتِ كالطفل وحبك كسوط وفؤادى مثل خذروف صغير
فاذا ألهبته بالسوط ظلما، راح كالمجنون فى الصـــدر يدور

وقال شاعر آخر من شعراء دار العلوم :

يارب قلب فى يديك قذفته مثل الصبى أطاح بالخذروف
فغـــدا يدور بقوة مجنونة تركته لا يدرى صدى لحفيفِ

فهنا اتحدت الصورة، وتشابهت أجزاؤها، ولكن اختلفت بين الشاعرين طريقة الإحساس بها والتعبير عنها.

على أن أهم الظواهر التى حدثت فى الشعر وحدةُ القصـيدة، وترابط أجزائها ترابطا قويا، ولسنا نعنى بالترابط، تماسك الأبيات بأدوات لفظية، ولا نعنى كذلك أن تكون القصيدة قصة، فقد لا تكون القصيدة قصة وقد تكون أبياتها غير مربوط بعضها ببعض ربطا لفظيا وهى مع ذلك متماسكة وفيها وحدة وانسجام.

وقد أصبح من المضحك عندنا أن يعبر عن هذا البيت أو ذاك بأنه بيت القصيد أو أن يقال فى هذه القصيدة خمس عيون يعنون خمسة أبيات جيدة. فالقصيدة عندنا صورة أو صور تامة مترابطة، يخل بجمالها أبلغ إخلال أن تقلب نظامَ ترتيب الأبيات فيها أو أن تحذف بيتاً من بيوتها، لأنك حينئذ تعدو على عنصر حى له قيمته وقوته فى حيوية القصيدة، وكونها قصيدة كاملة، تنتظم صورة كاملة أو إحساسا كاملا نحو شىء من الأشياء.

وقد فصّل الأستاذ العقاد الكلام فى هذه النقطة فى كتاب الديوان حين تعرض لنقد قصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل باشا ، التى يقول فى أولها :

المشرقان عليك ينتحبان ‏ ‏ ‏ قاصيهما فى مأتم والدانى

وقد رتبها العقاد ترتيباً آخر وترتيباً ثالثاً فلم ينقص معناها ، ثم حذف منها فلم تتغير فحكم بضعفها بعد النظر فيما حوته من معانى الرثاء التى تحمل القسط الشائع ولا تقتصر على خطٍّ خاص بإنسان واحد .

ولاشكّ أن وحدة القصيدة وانسجام معانيها وإحساساتها تجعل النفس تطرب لسماعها إلى آخرها ، فضلاً عما يبدو فيها من الكمال الذى ننشده فى كل شىء .

ومن أمثلة القصائد التى تتجلى فيها الوحدة وتبرز فيها الصورة تامة العناصر والأجزاء قصيدةٌ لسيد قطب عنوانها الشعاع الخابى .

ويحسن النّص على أنه نظم هذه القصيدة وهو فى منتصف العقد الثالث من عمره لأنها تدل على عبقرية مبكرة — قال :

لاح لى من جانب الأفق شعاع ‏ ‏ ‏ بينما أخبط فى داجى الظلام
فى صحارى اليأس أسرى فى ارتياع ‏ ‏ ‏ حيث تبدو موحشاتٍ كالرجام
حيث يسرى الهول فيها واجماً
ويطوف الرعب فيها حائما
والفناء المحض يبدو جاثما
وترى الأشباح فى رأسِ التلاعْ ‏ ‏ ‏ كالسعالى أو كأشباح الحمامْ
فاغرات تشتهى الابتلاع ‏ ‏ ‏ تَنْهشُ اللحم وتفرى فى العظام

٭٭٭

فتلفت على الضوء يلوح ‏ ‏ ‏ مثلما تلمعُ عين الساهرِ
أو كما تهمس فى الأجداثِ روح ‏ ‏ ‏ أو كمعنى شاردٍ فى الخاطرِ

قد تلفتْ بقلب مستطارْ
شفه الذعر وأضناه العثارْ
طالما رجى تباشير النهارْ
ثم أزمعت إلى الأفق الصبوح أرتجى فيه امانَ الحائرِ
أصعد الرابى وأهوى فى السفوح وكأنى طيف جنٍّ نافرِ

***

ثم ماذا ؟ ثم قد سادَ الحَـلك فجأةً ... والقبس الهادى خبَـا
ثم أحسست بدقاتِ الفَـلك لاهثات تتراخى تعبَا
رجفةَ الخائف أضناه الـعَيـاءْ
وهو يعدو لاهثاً عدو الطلاءْ
قبلما يلحقها غولُ الـفنـاءْ
وإذا قلبي خفوق منتهكْ ليس يدرى لخلاص سببَا
حولَهُ الظلمةُ فى أى سلكْ حيث ينسى الهاربون الهربَا

***

قلتُ ماذا ؟ قال لى رجعُ الصدى إيهِ ماذا ؟ قلتُ للوهم علامَا
قال لى اخشع، أنت فى وادى الردى حيث يطوى الضوء طراً والظلامَا
هاهنا تثوى الأمانى هاهنـا
فى مهاوى اليأس فى كهف الفنا
كل شيءٍ هالكٌ ... حتى أنا
ثم ضاع الصوت يفنى بددَا وتلاشى تاركا منه السِنمَاما
وإذا بى عدتُ أسري مُفرَدا لا أري شيئا ولا أدرى إلامَا

***

وقصيدة للشاعر أحمد مخيمر وقد نظمها وهو فى الحادية والعشرين من عمره وعنوانها المعانى المبهمة أو المعانى التى لا يدركها التعبير قال :

كم من معان وكم أشياء مبهمة تجول فى النفس ، لا تعنو لتعبير
حاولت بالرمز فى شعرى أصورها والرمز ينبىء عن عجز وتقصير
كأن خاطر قلبى مهمه قذف وتلك فيه سراب غير محصور
إنى أحس بها فى النفس هاجسة فى غامض غير ملموس ومنظور
تعلو وتهبط كالأمواج ضاحكة من قسوة الريح أو دفع الأعاصير
وكلما لمحتنى ناصبا شركا تجنبته وغابت فى دياجير
من أى عالم سحر عانقت خلدى وغادرتنى فى شك وتفكير
لو أنها ذات لون كنت أرسمها لكن مجردة كالروح والنور

وقصيدة لشاعر آخر من شعراء دار العلوم عنوانها رجاء إلى الربيع قال :

أيهذا الربيع أقبل ففى قلـ ـب رياض الوادى أغان سجينهْ
شاقها الشدو فاستمعْ لنشيد من أناشيدها يحن حنينه
أغمر الدوح بالحياة وهدهد ه ، وأرقص أفنانه وغصونهْ
إن فى هذه الغصون لسراً سوف تبدى فى لحظة مكنونهْ
إن فيها الأوراق خضراء حسناء . . أراها بطول حبس مهينهْ
فمر الدوح ينفتق عن مرائيـ ـها ويبدى ظلالها المدفونهْ
أنت حرية وأنت رخاء بل رجاء بل سلوة بل زينهْ

وقصيدة أخرى لنفس الشاعر عنوانها انسجام الحياة فى الربيع وفيها كعنوانها قوة ودقة وانسجام ، قال :

ما للحياة كأنها حلم ما للنسيم كأنه نغم

ما للرياض كأن طلعتها　　وجه الحبيب أهل يبتسمُ
والنفس بالدنيا قد ازدحمت　　والقلب بالتغريد مزدحم
تثب النفوس لفرط خفتها　　مثل الحروف رمى بها القلم
اغنم حياة ما استطعت وخذ　　طربا يهم لقبسه الصنم
نفس الربيع يطوف طائفه　　فالكون كالأنغام منسجم

هذه أيها الزملاء الأجلاء أمثلة تعمدت أن تكون كثيرة لتظهر الوحدة والانسجام ، وليظهر الاستقلال والقوة من كل ناحية .

وقد ظن بعض المتأدبين أن الشعر الحديث هو الذى يخلو من المدح والهجاء، ويتجنب ذكر الأطلال والنياق ، وهم فى هذا واهمون أشد الوهم؛ لأن هناك من الشعر ما يكون مدحا أو هجاء أو ذكراً للأطلال والنياق، ومع ذلك فهو معدود من صميم الشعر الحديث، وهناك شعر يصف أحدث المخترعات وليس بينه وبين الشعر وشيجة أو صلة ، وقد روى الأستاذ العقاد أن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب لقيه مرة وقرأ عليه جزءاً من قصيدته العلوية المشهورة فى وصف الطيارة ، ثم قال له أى للأستاذ العقاد ألسنا نعجبكم الان ياأنصار المذهب الجديد ... الخ هذا الخبر الذى أثبته العقاد فى كتابه شعراء مصر فى الجيل الماضى وبيئاتهم .

والمهم فى هذا الخبر أن المرحوم الشيخ عبد المطلب يحسب أن ذكر الطيارة أو وصف الطيارة فى القصيدة كاف لجعلها من الشعر الحديث.ويجب على الشعراء على رأيه هذا أن يتربصوا على أبواب المصانع ويسبقوا دفاترها وسجلاتها فى إثبات أسماء المخترعات الحديثة وأوصافها .

ولو تصورنا الآن إنساناً يحيا فى الصحراء حياة العربى الأول ، ويختلط بالناقة اختلاطه بها ، وترتبط معيشته بها ارتباطاً قوياً كذلك الارتباط القديم،

فإن ذلك الانسان يكون شاعراً حديثاً لو أنه وصف المصيف والمربع وذكر الناقه وشتى خطواتها ، وحداها بنغمات الحب والأنس والمودة ، وعاش بشعره بين الناقة والصحراء والخيمة ... ويكون مقلداً ناظماً لو ذكر القطار والسيارة والطيارة ووصفها وحداها ، لأن المطلوب من الشاعر أن يعبر لنا بصدق عن أجوائه وأكوانه ، وأن ينقل لنا إحساسات نفسه وهجسات فؤاده .

أما المدح والهجاء فهما كبقية الموضوعات الصالحة لقول الشاعر ، فالمادح يكون شاعراً حديثا لو أنه نقل عن نفسه وصدق فى النقل عنها ، أما شعر المدح الكاذب المغرض ، فليس شعراً وقد شبه الأستاذ سيد قطب شعراء المدح الكاذب بخدم الفنادق مايفرغون من توديع نزيل حتى يشحذوا ألسنتهم وأفئدتهم لاستقبال نزيل جديد والمحرك لهذا كله الطمع فيما يسمونه (البقشيش)

وشعر الهجاء — أليس ضربا من الشعر يقابل المدح ؟ ، وإذا أنت أجزت لنفسك أن تمدح المحسن أليس من العدل أن تجيز لها هجاء المسىء . . ؟

إذا استثارك الحسن فمدحته وأطريته فلماذا لاتهجو القبيح إذا استثارك ؟

شعارنا فى الشعر الحديث : انقل عن نفسك بصدق ، وأحسن التعبير ، وقل بعد ذلك ماتشاء مدحاً أو هجاء أو وصفاً أو غزلا . . .

أما ذم الهجاء من الناحية الخلقية ، فهذا شىء لاينقص قيمته من الناحية الفنية ولابن الرومى — وهو شاعر حديث . وإن عاش فى القرون الأولى — قصائد عظيمة فى الهجاء لايطعن فى قيمتها من الناحية الفنية كثرة الفحش وشدة السب فيها ولولا شهرة أكثرها وذيوعه لروينا منها هنا .

وقد امتاز الشعر الحديث بخلوه من البديع المتكلف السخيف ، فالشاعر

الحديث لا يعمد إلى شيء منه ، وإن طبيعته لتنفر منه كما ينفر السليم من المجذوم. لأن البديع من جناس وتورية واستخدام وغيرها عمل يدوى أو هو قريب من العمل اليدوى لا عمل للنفس ولا للشعور فيه ، وأنتَ إذا قرأت هـــذا البيت لأحد الشعراء فى رثاء وليده الوحيد :

قولوا له ــ أى للذى يسأل عن شعره ــ

ذهبت قواه بعـــد ما سكن التراب وليده وحبيبه

يورى بالبحترى وأبى تمام

عرفت أن الشاعر يلهو عن الحزن والتفجع ببعض الوثب على الحبل واللعب بالبيضة والحجر .

أو لو قرأت قوله فى رثاء ابنه هذا أيضا :

أبكيتنى حولا وأورثتنى ضعفاً ، فلا حول ولا قُوَّةْ ..

لضحكتَ ، ولم تبك على ذلك الابن الوحيد الحبيب ؛ الذى فقده ذلك الإنسان الناضب الشعور ، الجامد الإحساس .

إلى هنا انتهينا من عرضنا السريع لبعض النزعات الحديثة فى الشعر وكل نزعة منها فى حاجة إلى الحديث الطويل

ولا نترك هذا المكان من غير أن نشكركم مرة أخرى ونشكر لنادى دار العلوم فضله وحرصه على نشر الثقافة الحديثة .

العوضى الوكيل

هل تعـــــــــلم ؟

للأستاذ خلف القاضى
المدرس بالناصرية

(١) أن هناك طفلا نشأ يتيما فقيرا ، فى بلاد الشرق ، ثم كان سيد الناس ؟.

(٢) وأنه تربى فى البادية ، ورعى الماشية ، وارتحل للتجارة ، وكان أجمل الناس ؟ .

(٣) وهل تعرف أنه لم يتعلم الكتابة ، ولم يدخل مدرسة ، ولم يتخرج فى جامعة ، وكان أفصح الناس ؟ .

(٤) وهل تعلم أنه شهر بين قومه ولداته ، بالأمانة والصدق ، فكان أنبل الناس ؟ .

(٥) وأنه تزوج — وهو فى الخامسة والعشرين — سيدة طاهرة ، كان لها أثر عظيم فى توجيه حياته ، ولم يَبْنِ بغيرها ، حتى فارقت الحياة ، وقد شارف الخمسين . فكان أوفى الناس ؟ .

(٦) وهل تعلم أنه كان يحب العزلة ، ويطيل التأمل ، وينأى عن لهو الحياة فى قمم الجبال ؟ ،

(٧) ثم هل تعلم أنه أذاع فى عشيرته ، أنه رسول كريم ، وصاحب مذهب جديد ؟ .

(٨) وأن معه كتاباً مجيدا ، اجتمع العرب ، وافترقوا ، على أن يأتوا بمثله فعجزوا ؟ .

(٩) وهل بلغك أن فريقا من الناس ، حُنَفَاء ، آمنوا به ، فعذبوا وفتنوا

(١) ألقيت هذه الكلمة فى مدرسة الناصرية احتفالا بعيد الهجرة

فهاجروا بدينهم الحديث ، إلى هضاب الحر النائية ، وتركوا الوطن الغالى ، والوليد المحبوب ؟

(١٠) إنك تعرف أن بعض المدن فى الحرب ظلت محاصرة أشهرا رهيبة ذاقت فيها الوبل والحرمان .

ولكنك لا تعرف أن « قريش » حاصرت بنى هاشم وبنى المطلب فى شعب الجبل . ثلاثة أعوام ، لقوا فيها القطيعة والسغب والظمأ والعرى ؛ لأنهم رفضوا أن يسلموا إليهم اليتيم ليقتلوه ! ..

(١١) وهل تصدق أن عمَّاله وامرأة لعمه ، وأقرب الناس إليه ، كانوا يضعون الشوك . فى طريقه ، ليمنعوا المؤمنين زيارته ؟

(٢) وهل صحيح أن دينه الجديد ، انتشر خارج بلاده ، وحورب فى وطنه ؟ .

(١٣) ألا تأسف إذ أنبأتكَ أن سَراة قومه تآمروا على اغتياله، فحرسوا بيته ، وهموا بقتله ؟ .

(١٤) ألا يروعك إذا سمعت أنه فر منهم ، ولم يركب طائرة ، تحلق فى أجواز الفضا ، أو بارجة تشق طريقها فى عباب الماء ، تخْفِى سرها، كما يفعل الهاربون ، من الأسر والنار ؟ .

(١٥) وهل تؤمن بأنه اختبأ فى مكان ، كان مغطى بخيط العنكبوت ، ولم يتحصن وراء خط « ماجنو » أو خلف سور الصين ؟

(١٦) وهل نزعم أنه وجد فى البلد البعيد ، أنصارا يحبهم ويفدونه ، وأعداء يودهم ويحسدونه ؟ .

(١٧) هل نسيت « جوبلز » ورجاله ، و« الطابور » الخامس ودعاته ؟ إنهم كانوا أبواق دعاة ، وأصحاب هزيمة ، ومؤلفى أكاذيب ، إنهم كانوا خطرا على حياته ، وحليفا لأعدائه ، وحربا متصلة على دينه ، إنهم اليهود . إنهم

المنافقون الذين كانوا يؤمنون أول النهار ، ويكفرون آخره ؟

(١٨) هل تعرف أن الآيات الباهرة فضحتهم ، وأن السيف القاهر أهلكهم ، وأن الجلاء الشامل أفقرهم وأذلهم ؟ .

(١٩) وهل تعتقد أن هذا الطريد المغلوب ، والهارب المقهور يعود بعد سنوات ثمان — إلى بلده الأمين ، منتصرا وفاتحا ، ويمن على خصومه وقومه بالحياة والحرية ، ويقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ؟ .

(٢٠) وهل يسمح لى بان أقول : إنه السنة العاشرة من هجرته ، يكمل الدين ويسود الإيمان ، وتحطم الأصنام ، ويمحى الشرك ، وتموت العصبية ، ويحل الإخاء ، والمساواة ، والحرية ، فى بلاد الوثنية ، ومستقر الجاهلية ؟ .

(٢١) هل تعرف أن هذا الثائر ترصد له الموت مرة ، وانتظره القتل مرات : فمرة يهرب من السيف المنتقم الغادر ، ليصبح سرا فى بطون القفار . وحينا تحرسه العناية من سهام الحرب الفاجرة ، وعدوانها الآثم . وتارة تنقذه السماء ، من صخرة عاتية ، كادت تلقى عليه من مرتفع . . . ويوما يسعده الوحى ، فينجو من طعام شهى مسموم ، كان قد أهدى إليه .. وليلة يتحالف جماعة المنافقين ، على الفتك به ، بإلقائه عن راحلته ، فى مكان ما ، وعر الصعود ، وهموا . . . وهموا بما لم ينالوا برعاية الله ؟

(٢٢) وبعد : —

هل تدرى أنه رفع منزلة المرأة فى المجتمع ، وصان كرامتها من الهوان بل رد لها الحياة بعد الموت ، ومنحها حق الملك والتوريث ؟

(٢٣) وهل تذكر أنه المحرر الأول للرقيق والناصر الأعز للديمقراطية والمنادى بالمساواة ، بين الاشراف والموالى ، والقائل فى أحاديثه : لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عندالله أتقاكم .

(٢٤) ألا يعجبك أنه فرض الزكاة على الغنى ، وأوجب الإحسان للفقير والمسكين ، وابن السبيل ، وحرم الاحتكار ، والربا بين الناس .

(٢٥) هل تعرف صاحب ذلك النور المتألق، فى سماء فارس، وعلى جبال الهند، وفوق سهول العراق، وفى جنات الأردن، وتحت سماء الصحراء ؟

(٢٦) هل تعرف منبع ذلك النور النفاذ، الذى غمر وادى النيل، ولمع فى ربوع الأندلس، وطاف بشاطىء البسفور، وأضاء أودية الصين ؟

(٢٧) هل تعرف باعث النور المنبثق، الذى فاضت به الدنيا عدلا وهديا، وضرب المثل الأعلى، فى التمسك والثبات على المبدأ، والتفانى فى سبيل العقيدة.

وكان البطل الخالد، فى الجهاد والمثابرة، والتضحية والمغامرة ؟

(٢٨) إنه الذى مات، ولم يعقب ولدا حياً، يورثه الملك، أو ينازع فى السلطان

(٢٩) إنه الذى مات، ولم يترك قصور الخلد، ولا إيوان كسرى ولا رصيد الذهب فى مصارف المال.

(٣٠) إنه الزعيم الذى مات، ودرعه مرهونة بثلاثين درهما، لرجل من اليهود ؟

(٣١) إنه محمد بن عبد الله نبى الله ورسوله، الذى ولد بمكة ومات فى المدينة

(٣٢) انه محمد الذى احتفل العالم الاسلامى فى بقاع الأرض بعامه الجديد

(٣٣) إنه محمد الذى يذكره الموحدون فى صلواتهم، خمس مرات كل يوم

(٣٤) إنه محمد الذى يهتف به المسلمون فوق مناثرهم، وعلى منابرهم.

(٣٥) إنه محمد صاحب كتابهم، الذى يدرس فى معاهدهم، ويتلى فى محاربيهم وتذيعه أمواج الأثير — من وراء البحار — فى المساء والصباح.

إلى المستمع الكريم.

(٣٦) إنه محمد النبى الأمى. الذى يخاطبه ربه فيقول: وإنك لعلى خلق عظيم.

صلاة عليك، وتحية إليك .... من «خلف القاضى».

رد على اتهام لأبناء دار العلوم

نشرت مجلة التربية الحديثة للجامعة الأمريكية مقالا طويلا اتهمت فيه أبناء دار العلوم بأنهم رجال مادة لا رجال إنتاج وأنهم لا يغارون إلا لما يمس شئونهم المادية .

فرأيت من الواجب أن أرد على هذا الاتهام وقد أرسلت الرد للمجلة ورجوت رئيس التحرير كاتب المقال أن ينشر مقالى فى أول عدد يظهر من الصحيفة،كما أنى رأيت أن ينشر ردى فى صحيفة دار العلوم ليطلع عليه أبناء دار العلوم وبخاصة حضرات الأساتذة الذين لهم مقالات فى مجلة التربية الحديثة ومحاضرات فى قاعة الجامعة الأمريكية .

سيدى رئيس التحرير :

قرأت مقالا بهذا العنوان بمجلتكم فى عدد ديسمبر سنة ١٩٤١ فوجدت فيه اتهاما منكم لأبناء دار العلوم بأنهم لا يغارون إلا لما يمس شئونهم الاقتصادية وأن غضبتهم لتعيين مفتشة للغة العربية من غير أبنائها غضبة لا حق لهم فيها وأنهم عديمو الإنتاج لأن الصحف الصباحية والمسائية ليس بها نقد منهم لمنهج أو مقال يفيد التربية والتعليم .

وإنى وإن كنت أعتقد أن هذا المقال بعيد عن الواقع كل البعد وأن قضاياه كلها بعيدة عن الصواب . أردت ألا يمر هذا دون تعليق بسيط عليه فالعدد الذى فيه المقال يحتوى على مقال لابن من أبناء دار العلوم فى موضوع يفيد التربية والتعليم ، وقاعة محاضراتكم تقوم على كثير منهم ، ولهم بحوث فى موضوعات مختلفة تلقى فى كثير من النوادى والقاعات العامة، وما رأينا طوائف تلقى القلم فى غير ناديها إلا أبناء دار العلوم وذلك رغبة منهم فى نشر بحوثهم ومجهوداتهم المختلفة المثمرة ، ولعل كاتب هذا المقال لم يطلع على

صحيفتهم الحافلة بالمقالات الممتعة فى الأدب وغيره والتى ترسل إلى جميع مدارس الحكومة وإلى كل البلاد الشرقية .

إن أبناء دار العلوم إذا ثاروا وغضبوا لتعيين مفتشة للغة العربية غير فنية فيها فهم لم يثوروا ولم يغاروا حبا فى المادة كما يقول حضرة الكاتب ، وإنما الذى جعلهم يغارون أنها لا تستطيع التفتيش عن هـذه المادة ، وليس هناك دليل أعظم من أنها لما عينت ذهبت إلى كبير من كبار وزارة المعارف وصارحته بذلك فكان رد حضرته عليها أنها لم تعين إلا لتأخذ الدرجة فقط وقد نشر ذلك فى حينه فى جريدة المقطم .

فإذا كان الغرض هذا فلماذا لم تعين مفتشة للتاريخ أو الجغرافية ، واعتقادى أنها لو عينت مفتشة لغير اللغة العربية لكانت الضجة أكبر والانتقاد أشد .

فرفقا بأبناء دار العلوم الذين قد أنكرتم عملهم مع وضوحه ولا أدرى لم هذا وقد دلت الأيام على إخلاصهم فى عملهم مع ظلمهم وهضم حقوقهم ، وأنهم مع هذا الهضم المستمر لم تضعف عزائمهم ولم تفتر هممهم معتقدين أنهم إن ظلموا الآن فسينصفون غدا . ولن يذهب العرف بين الله والناس ؟

أحمد عبد الجليل

المدرس بالسعيدية

قصيدة دار العلوم

بمناسبة مرور عام

على وفاة المغفور له أمين سامى باشا

عذبتْ مورداً ، وفاءت ظلالا وتأبت على الزمان منالا
وتحدتْ «دارالعلوم» الليالى مَن يروم الغداةَ منها نِزالا ؟؟
صمدت للزمان تسخر منه حينما رامها ، فرام محالا
نشأتها العقول عاتيةَ البأس م إذا انقضَت الخطوب ثِقالا
كلما جارت الليالى عليها ألهمتها آلامها آمالا
بَسطت ظِلَّها على مصر فانساب م على جدْبها نميراً زُلالا
وسَرَى مِشعل المعارفِ منها يتخطى السنينَ والأجيالا
قبست نوره من العِلم والفن م ففاضا حقيقة وخيالا
بوأتها الفنون ناصية الشمس م فتاهت على النجومِ اختيالا
وانثنت تَذكر الرجالَ وقد ألقوا م على رَبوة الخلودِ الرحالا
ومضوْا ينعمونَ بالدوحِ فينان م وبالنبع دافقاً سيالا
وبنور الضحى يفيض جمالا وبآصالها تفيضُ جلالا
يستريحون تحت ظل وريف يتهادى تحولا وانتقالا

يستريحونَ من ضجيج ليالٍ عركوها أسنة ونِصالا
يستريحون : من عناء مقض من هموم ما إن تريد زوالا
من حياة محدودة لحياة لاتحد الأعمار والآجالا

✡ ✡ ✡

إيه سامي يامنشيء الجيل وثابا م إلى غاية سمت أن تعالى
كنت والجيل لم يشب عن الطوق م أبا حانيا ، وعماً ، وخالا
أنت لقنته الحياة كلاما فمشى يفهم الحياة فعالا
سار في حلبة الجهاد فجلى ومضى فارتقى السحاب ارتجالا
سابقاً سبحة الشعاع على الأفق م طليقاً ، وجائلا حيث جالا

✡ ✡ ✡

لك حفظ الصنيع يامنشيء الجيل م وحسبي خلق العقول نوالا
الصنيع الذي حبوت لمصر سنحيه شبيبة واكتهالا
ذاك مضمار من يريد لنا الرشد م رفيقاً ، لامن يريد الضلالا
ليس من يحفز العقول افتناناً مثل من يدفع الجسوم اقتتالا
أجنى العلم هذه الحرب ؟ كلا أيشب اللظى ويشدو المقالا ؟؟
إنها نزوة تفور شروراً إنها ثورة تطيش نبالا
علموا الشعب كيف يقتنص المجد ليرمي عن جيده الأغلالا ؟؟
هبة العلم خير مايرزق الشعب إذا دمدم الحديد وصالا
فانشروا فيكم رسالة سامي تعتلي حكمة ، وتسمو مثالا
عاش للعلم لم تنهنه قواه دورة الدهر ، والخطوب توالى

ليس من يبتني مظاهرة المـال م كن يبتني لمصر رجالا . . .
وهب العـلم زهرة العمر حتى هصرت غصـنها المنون فـالا
زهرة صوحت ونامت بصحراء م تدوى عواصــفاً ورمالا
تعول الريح والمفـاوز تصغى وتجيب المفـاوز الإعـوالا
تتساوى هنـا الخليقة... طراً كلهم هاهنـا غدوا أمثالا
انمحت تلـكم الفروق لدى الموت م فلا جاه يتقى أو مـالا
أصبح القـادر المدل ذليـلا وغـدا شامخ الذرا أطـلالا
وفحيح الصلال أغنية الصحراء م إن هاجت الرياح التلالا
ونواح الغربان والبوم والآجام م تحـوى الأسـود والأشبالا

✡ ✡ ✡

زهرة صوحت ونامت بصحراء م تدوى عواصـفاً ورمـالا
علها ترسـل السماء عليها صيباً من عيونها هطـالا
علها ، ينشر النسيم شذاها فيلف القبـور ، والأدغالا
علهـا ، تبعث الشموس إليها ألقـاً شـارداً ونوراً مسالا

✡ ✡ ✡

إيه روض النهى حرمت نداها سلسلا صافياً ، وخمراً حلالا
وحرمت النسيم يندى شـذياً فيروى النفوس والأوصـالا
يورق الروض بالنسيم وبالعرف م يضـوعان يمنـة وشمـالا
ودع الروض زهرة سوف يبقى عطرها في النفوس يسرى اشتعالا

✡ ✡ ✡

دارنا هذه ، هي الروض ، يشدو طيره اللحن كالربيع جمالا
نحن في ساحها الطيور الشوادى لهف نفسى على الطيور ثكالى ! !
تفقد الزهرة السخية بالعرف وتطوى على الضحى الآصالا

أحمد عبد المجيد الغزالي

الفهرست

الصفحة	المقال		الكاتب
٣	من خصائص العربية المرونة وماتدل عليه		الأستاذ على النجدى ناصف المفتش بوزارة المعارف
١٢	دراسة شعر اسماعيل صبرى	«	عبد العظيم على قناوى
٢٥	ابن خلدون	«	محمد سعيد العريان
٣٣	النزعات الحديثة فى الشعر	«	العوضى الوكيل
٤٥	نور من الصحراء « هل تعلم »	«	خلف القاضى
٤٩	رد على اتهام لأبناء دار العلوم	«	أحمد عبد الجليل
٥١	قصيدة دار العلوم بمناسبة مرور عام على وفاة المغفور له أمين سامي باشا	«	أحمد عبد المجيد الغزالى